شرح كتاب حلية طالب العلم

الشيخ محمد العويد – رحمه الله –

الفصل الأول للعام ١٤٣٨

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس الخامس

خامسًا: آداب الطالب في حياته العلمية

قال المؤلف رحمه الله:

٢٤- كبر الهمة في العلم:

ارسم لنفسك كبر الهمة لترقى إلى درجات الكمال؛ فيجري في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل؛ فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور، وردد مقولة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: «مع المحبرة إلى المقبرة». ولا تغلط فتخلط بين كبر الهمة والكبر؛ فإنَّ بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع؛ فالأول حلية ورثة الأنبياء، والثاني داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء.

الشرح: الهمة في طلب العلم سبب للاستمرار فيه، والترقي إلى مستويات عالية منه، ويتطلب ذلك أموراً، منها:

١- طَرْقُ أبوابِ الفضائل

٢- الاهتمام بمعالي الأمور وعدم الالتفات إلى سفاسفها، فإن طلب العلم رتبة عالية لا يحسن معها النزول إلى مساوئ الأخلاق.

والناس تتأثر بصاحب الخلق الحسن، وقد ثبت عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه أحمد والترمذي.

وصاحب الخلق محبوب عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ. رواه الترمذي.

قال الترمذي: وَالثَّرْثَارُ: هُوَ الكَثِيرُ الكَلاَمِ، وَالمتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الكَلاَمِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

وقد ثبت في الخلق الحسن عدة أمور:

أولاً: عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا» رواه البخاري.

ثانياً: سبب لدخول الجنة، وقد ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ. رواه الترمذي وابن ماجه.

ثالثاً: أنه يثقل الموازين يوم القيامة، فقد ثبت عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ» رواه الترمذي.

رابعاً: أنه أفضل من كثير من نوافل العبادات، وقد ثبت عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ» رواه أحمد وغيره.

٣- التواضع وترك الكبر، وكبح جماح النفس إن رآها تجنح إلى الكبر؛ لأن الكبر سبب لمحق بركة العلم وذهابه.

كما أن الكبر محرم وقد ثبت عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» رواه مسلم.

قال المؤلف رحمه الله:

٢٥- النهمة في الطلب:

عليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم فتذكر قول القائل: «كم ترك الأول للآخر» وقول الشافعي رحمه الله: «كلما ازددت علمًا زادني علمًا بجهلي».

الشرح: كثرة القراءة مهمة في ترسيخ العلم، والتنوع في مصادر المعلومة مهم أيضاً في زيادة ترسيخها، لكن التوسط مطلوب بالاكتفاء ببعض المصادر؛ لأن الكثرة الزائدة تشوش على المعلومة وتكون سبباً في تشتت الذهن.

قال المؤلف رحمه الله:

٢٦- الرحلة للطلب:

إذا أردت أيها الطالب أن تتأهل في العلم فلابد من رحلة إلى أهل العلم؛ لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم لديهم من التحريرات والضبط والنكات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه أو على نظائره في بطون الأسفار، واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين الذين يفضلون (علم الخرق) على (علم الورق)؛ فإنهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا؛ بل فيهم من كان بأسًا وبلاءً على الإسلام.

الشرح: الرحلة للطلب من أسباب تحصيل العلماء الأوائل وتميزهم، وكانت الرحلة في سبيل الحديث شاقة، لكن همتهم في التحصيل تحول دون التوقف.

وفي وقتنا لا يحتاج الطالب إلى الرحلة كثيراً، فوسائل التواصل والبث الشبكي وخاصة للطالبات انتشر ولله الحمد كثيراً.

قال المؤلف رحمه الله:

٢٧- حفظ العلم كتابة:

اعلم أن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج؛ لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها، ومن أجل فوائده أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديه مادة تأخذ منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والتقصي، ويكون ذلك بأمرين:

الأول: اجعل لك مذكرة تقييم الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مظانها.

الثاني: استعمال غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك، ثم تنقل ما يجتمع لك في مذكرة مرتبًا على الموضوعات مقيدًا رأس المسألة واسم الكتاب ورقم الصفحة والمجلد واكتب على ما قيدته [نقل]؛ حتى لا يختلط مع غير ما نقل. قال الشعبي: «إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط».

الشرح: الكتابة من أهم وسائل حفظ العلم وتثبيته، والكتابة قد تكون في الكتاب أو في دفتر، أو في غيرها، مما يعين الطالب على تثبيت ما يتعلمه.

ومن فوائد الكتابة ما يلي:

أولاً: تثبيت المعلومة، وخصوصاً أنها بالأسلوب الذي يختاره الطالب.

ثانياً: تذكر المعلومة، فكثيراً ما ننسى المعلومات التي قرأناها، فإذا رجعنا إلى ما كتبناه تذكرنا بمجرد رؤيتها.

ثالثاً: اختصار المعلومات الطويلة بعبارات يختارها الطالب يتذكر بها شرح شيخه.

قال المؤلف رحمه الله:

٢٨- حفظ الرعاية:

اجعل حفظك للعلم حفظ رعاية لا حفظ رواية؛ فإن رواة العلوم كثير ورعاتها قليل، ولا يكون ذلك إلا بالعمل والاتباع والبعد عن المفاخرة والمباهاة به، وأن لا يكون القصد في ذلك نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس، وسبيلاً إلى نيل الأغراض وأخذ الأعواض، فالإخلاص الإخلاص في الطلب وحسبك به.

الشرح: ليس المقصود من العلم كثرة المحفوظ والتحصيل، وإنما المقصود منه التعبد لله تعالى على بصيرة، وطريق ذلك الإخلاص لله تعالى، والعمل بما علم.

قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}البينة٥.

والعلم لابد له من عمل، قال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ{٢} كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ{٣} سورة الصف.

وقد روى الترمذي وغيره عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ.

والدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى العلم الصحيح، فهي طريق البصيرة كما قال جل وعز: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يوسف١٠٨.

قال المؤلف رحمه الله:

٢٩- تعاهد المحفوظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر؛ فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب مهما كان وتذكر قوله ﷺ: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت». فإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إذا لم يتعاهد فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟! وخير العلوم ما ضبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى ودل على ما يرضاه.

الشرح: ضبط العلم يحتاج إلى تعاهده ومراجعته وعدم إهماله، وأهم محفوظ يعتنى به القرآن الكريم، وقد ثبت عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا» متفق عليه.

ومن تثبيته وضع حزب يومي للمراجعة، وقراءته في الصلاة، ومن كان من أهل قيام الليل فإن القراءة فيه من أفضل وسائل تثبيته.

ومن ضبط العلم مذاكرة وعقد المجالس لتدارسه، فهو من أفضل الوسائل لتثبيته، سواء كان في حفظ المسائل أو فهمها.

قال المؤلف رحمه الله:

٣٠- التفقه بتخريج الفروع على الأصول:

تحل بالنظر والتفكر والفقه والتفقه؛ لتصل بإذن الله إلى ما يسميه الفقهاء (فقيه النفس)؛ وهو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، فعليك بتخريج الفروع على الأصول

وتمام العناية بالقواعد العامة، واجمع للنظر في فرع ما بين تتبعه وإفراغه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة؛ كقواعد المصالح، ودفع الضرر والمشقة وجلب التيسير وسد باب الحيل وسد الذرائع؛ فإن هذا يسعفك في مواطن المضايق.

فالفقيه هو من تعرض له النازلة لا نص فيها فيقتبس لها حكمًا، ولشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فصول مهمة في ذلك من نظر في كتب هذين الإمامين سلك به النظر إلى التفقه طريقًا مستقيمًا.

الشرح: العناية بأصول الفقه وقواعده مما يجدر بالطالب أن يهتم به، فهو سبيل لمعرفة مقاصد الشرع، وضبط قواعده.

وهذا لا يتوفر للمبتدئ، بل بعدما يقطع شوطاً لا بأس به في طلب العلم.

ولابد من التفقه فيه على عالم مختص بالأصول والقواعد الفقهية؛ لأنه علم لا يمكن الاستقلال به من خلال القراءة فقط، فيقرأ الطالب بعض المتون المختصرة فيه، حتى إذا أتقنها ارتفع إلى الكتب الموسعة في ذلك.

معهد العلوم الشرعية

يوم الإثنين ١٤\ صفر \ ١٤٣٨ هـ الموافق ١٤\١١\ ٢٠١٦م